هناك تعاون وتعامل بين الطرفين الصهيوني والدولي ابتدأ في وقت مبكر من القرن التاسع عشر وانسحبت آثاره حتى قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨. وهذا ما يفسر لنا مقدرة الصهيونية على التوصل إلى جميع أهدافها ــ بل ربما إلى أكثر مما خططت له ــ حتى منتصف القرن العشرين على الأقل، بل حتى عدوان حزيران (يونيو)؛ ذلك أن غياب أحد أطراف المعادلة الرئيسية عن ساحة الصراع سمح للطرفين الآخرين بأن يضعا موضع التنفيذ كل مايتفقان عليه دون أن يعيق عملهما عائق، ولا سيما لأن الطرف الدولي لم يكن متعدداً كما هو شأنه اليوم، بل كان مقصوراً على أوروبا الاستعمارية، وهذا ما يسمح لنا باستعارة مصطلح «المثلث المكسور» (The Broken Triangle) من الكاتب الايرلندي ايرسكين تشايلدرز (Erskine Childers) لنقول ان الصراع ظل، حتى فترة أخيرة، مثلثاً مكسوراً قائماً على ضلعين، أما الضلع الثالث، وهو الضلع العربي، أي الضلع الأساسي والأهم، فكأنه لم يكن موجوداً. وهكذا أدى تحالف الصهيونية مع الاستعمار إلى أن تكون الجدلية ناقصة، وحتى عام ١٩٤٨ على الأقل كان ما يريده الطرفان الصهيوني والاستعماري هو الذي يتحقق على أرض الواقع ولم تكن ردود فعل الطرف العربي لتؤثر في ايقاف المخطط الصهيوني الاستعماري. بل أن الأمر هو أغرب من ذلك بكثير. فحتى بعد أن دخل الطرف العربي في الصراع ابتداء من العقد الثالث من القرن العشرين ظل عديم التأثير بل كانت الحصيلة الفعلية لتدخله لصالح الطرف الصهيوني لأن دخوله كان ضعيفاً وبالتالي كان تأثيره معكوساً، وكانت النتائج تأتي دائماً مخيبة لآماله. ومن أجل ايضاح هذه النقطة، لنتذكر ما حدث عام ١٩٤٨؛ إذ حدثت معارك بين الفلسطينيين وبين الصهيونيين وكان المجاهدون الفلسطينيون يعملون حسب طاقتهم من أجل ابطال قرار تقسيم فلسطين الذي أقرته هيئة الأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٧، أي أن حجم الخطر المرحلي في ذلك الحين كان قرار التقسيم، أي قيام الكيان الصهيوني على تلك الرقعة من الأرض الفلسطينية التي خصصت للصهيونيين في قرار التقسيم الذي رفضه العرب رفضاً قاطعاً.

ومن المعروف أن الطرف العربي تدخل، عام ١٩٤٨، تدخلاً قاطعاً سافراً عن طريق خمسة جيوش رسمية هي الجيش المصري والجيش السوري والجيش العراقي والجيش العربي (الأردني) والجيش اللبناني أيضاً. كما كانت هناك فصائل نظامية أو متطوعة من دول عربية أخرى في جيش الانقاذ. وكانت هناك معارك وخيانات وأخطاء. كما كانت هناك بطولات شعبية وتضحيات كبرى. ولكن ماذا كانت النتيجة؟ استطاع الصهيونيون الاستيلاء على كل الأرض المخصصة لهم في قرار التقسيم؛ وذلك بالاضافة إلى النقب والجليل ومناطق أخرى من فلسطين. وهكذا بنتيجة التدخل غير المتكافىء، قامت الدولة الصهيونية على ٧٧,٤٪ من أراضي فلسطين (٢٠٧٠٠ كم٢) أي بزيادة ٢١٪ على الأراضي التي خصصت لها وفق قرار التقسيم؛ وذلك بالاضافة إلى خروج ٧٥٠ ألف عربي فلسطيني من ديارهم، وتحولهم إلى لاجئين في الأقطار العربية ومناطق أخرى من العالم. بل أكثر من ذلك، كشفت الوثائق التاريخية أن الصهيونيين كانوا يدركون أن تدخل الطرف العربي في الصراع بطريقة ضعيفة هو فرصة لتوسيع مخططاتهم الاغتصابية. وفي موضوع أحداث عام ١٩٤٨، كشفت الوثائق عن أن بن ــ غوريون رئيس وزراء الكيان